

إلي غير ذلك مما جاءت به الروايات المختلفة .

وختاماً يضيق المقام عن أن يتسع لذكر كل ما يمكن من فوائد الإسراء والمعراج للرسول خاصة وللأمة الإسلامية عامة فحسبنا هذا والله ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

جنات واعظة

في سور ١ - الكهف ، ٢- سبأ ، ٣ - القلم ، ٤ - صحيح مسلم .

نعم إنه المال عصب الحياة الدنيا وريتها . ووسيلتنا إلي ضرورياتها وكمالاتها . وهو صنو البنين . وكلاهما يحرص الإنسان عليه . ويرى فيه سعادة نفسه . وطمأنينة قلبه . قال تعالي ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (الكهف ٤٦) .

وقد قرنه الله بالبنين في ثمان وثلاثين آية من آيات الكتاب الكريم . مقدماً المال علي البنين وفي ذلك إشارة إلي أن تعلق النفس بالمال أشد من تعلقها بالبنين .

المال وهذا شأنه كان مصدر الصراع بين الأفراد والجماعات . فبسببه اقتتل الناس وتفرق الأحبة . وما كانوا ليقتلوا ويتفرقوا . فيقبلوا النعمة نقمة . ويجعلوا زينة الحياة سبباً لشقائهم لو أنهم أنزلوه منزلته . وهي كونه وسيلتنا لسعادة الدارين . فلم يتخذوه صنماً يعبد من دون الله . ويتقربون إليه بشئ الوسائل . غير مفرقين بين مشروع ومنكر . ولكنهم قد اتخذوه صنماً . وتقربوا إليه بكل شيء . وعلي مذبحه أراق الاخ دم أخية . وقتل الاب بنيه . والابن أباه وانتهكت الاعراض وديست الكرامات .

ويا عجبا أن يجعل وسيلة السعادة سبباً للشقاء . ولكنه ضلال الإنسانيه بسبب بعدها عن هدي السماء . ورسالات الله . فعاقبها الله . فعاقبها الله علي تنكب الطريق السوي وقد أرشدنا الله في كتابه وسنة رسوله في وضوح واضح إلي الطريق الصحيح للتعامل مع المال اكتساباً وإنفاقاً وادخاراً . مصححاً في ذلك نظرة الناس إلي الأموال . فلم يرض لهم أن يكونوا عبيد الدراهم والدينار . كما لم يحب لهم أن يتنكروا لهما . قال تعالي : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة . ولا تنس نصيبك من الدنيا . وأحسن كما أحسن الله إليك . ولا تبغ الفساد في الأرض . إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (سورة القصص : ٧٧) . وقال ﷺ « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة . إن أعطي رضي

الله . وإن لم يُعْطَ سَخِطَ . تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش (١) .

كما قال ﷺ: « اليد العليا خير من اليد السفلي . وإبدأ بمن تعول . وخير الصدقة ما كان عن ظهر غني . ومن يستعف يعفه الله . ومن يستعين يغيثه الله » (٢) .

وفي ذلك حث واضح علي اكتساب المال . ليصلح الإنسان به من شأنه وليحسن به إلي غيره وفي الحديث الذي قبله تنفير من الإسراف في حب المال إسرافا يجعل الإنسان يتقل من كونه سيدا مالكا للمال . إلي كونه عبدا له .

هذا وقد لفت نظري أربع قصص واقعية . ثلاث في القرآن الكريم . وواحدة في السنة النبوية حول المال . وتصحيح النظر إليه . والتعامل معه . وذلك عن طريق القصة .

وأثرها في النفس العظيم . واتخذ موضوعا لها في جميع القصص لون من المال بعينه يغلب علي النفس حبه والميل إليه . وذلك هو البساتين الغناء والحدائق الفيحاء . والجنان النضرة .

القصة الأولى: يدور الحوار فيها بين رجلين . أوتي أحدهما جنتين من أعناب . مخفوفتين بنخل وجعل بينهما ررع . وفجرَ خلالهما نهر ﴿ وكان له ثمر . فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا . وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة . ولئن رددت إلي ربي لأجلدن خيرا منها منقلبا ﴾ (الكهف: ٣٤، ٣٥، ٣٦) .

إذن فقد كفر الرجل . بعد أن بطر وركن إلي ماله مفتخرا به . وبغى وطفى وتجبّر . واعتز بماله وجأهه . وجعل المال . وهو نعمة من الله عليه سببا لطغيانه وكفرانه .

وصدق فيه قوله الله تعالى ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ (الملك: ٦، ٧) وهنا ينبري له صاحبه . مسفها رأيه أن جعل المال سبب الكفران والفخر . مذكرا له بنعمة الله عليه في خلقه في أطوار شتي . طورا بعد طور . حاثا له علي النظرة الصحيحة لنعمة

(١) رواه البخارى . «والخميسة» ثوب معلم من خز أو صوف . «وانتكس» أى انقلب على رأسه خيبة وخسارا . « وشيك» أى دخلت في جسمه شوكة . « والانتقاش» نزعها بالمنقاش . وهذا مثل معناه . إذا أصيب فلا انجبر .

(٢) - رواه البخارى . واللفظ له . ومسلم . واليد العليا هي المنفعة . والسفلي . هي السائلة .

المال. بنسبتها لله وشكره عليها. والتبري من حوله وقوته في كسبه فكم من باذل لا ينال. ولو كان جهد الإنسان هو كل شيء لما تخلفت ثمرة عن عمل .

قال تعالي ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره. أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا. لكننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا. ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله. إن ترن أنا أقل منك ما لا وولدا فصبي ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾^(١) (الكهف ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١).

انتهى الحوار. ونحن الآن بإزاء رجل أوتي مالا جنتين عظيمتين. فكفر بعد أن بطر وافتخر وبغى وتكبر. فماذا كان من شأنه بعد ذلك. هنا موضع العظة والعبرة. أهلك الله حديقته. فلم يعد أكثر مالا. وثاب الرجل إلي رشده بعد أن جرد من المال ديا ليتي لم أشرك بربي أحدا. وبطل الجاه. فلم يجد فئة تنصره من دون الله وما كان متصرا ويصور الله ذلك أتم تصوير في قوله سبحانه وتعالى ﴿وأحيط بشمره فأصبح بقلب كفيه علي ما أنفق فيها وهي خاوية علي عروشها. ويقول باليتي لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان متصرا. هنالك الولاية لله الحق. هو خير ثوابا وخير عقبا﴾ (الكهف ٤٢، ٤٣، ٤٤).

يا لله للناس. ألا يعرف الانسان ربه إلا أن تنزل به جائحة تعيده إلي رشده وتصلح من فكره ألا ما أجهل من يجعل نفسه عبد العصا. وبؤسا لإنسان يطغيه المال مهما كثر. ويقف حائلا بينه وبين النظر الصحيح آمنت بالله ما شاء الله كان. لا قوة علي أمر إلا بالله تلك هي الجنة الأولى. وفيها دعوة لتصحیح النظر للمال بنسبته لله منعما به. وعدم اتخاذه وسيلة للمباهاة والفخر. والتبري من الحلول والقوة في جمع المال وتشميره وحفظه. بل الأمر بيد الله وحده .

وأما القصة الثانية: فعن سبأ ﴿جنتان عن يمين وشمال. كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم. وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ (سورة سبأ ١٥، ١٦، ١٧)^(٢) .

(١) حسبانا جمع حسبانه. أى صواعق. و صعيدا زلقا أى ارضا ملساء لا يثبت عليها قدم
(٢) والعرم جمع عرمة. وهو ما يمسك الماء من بناء وغمره إلى وقت حاجته أى سيل وادهم المسوك بما ذكره الخمط المر البشع وأثل طرفاء. لا لمر لها ولا ظل . وسدر شقيق

صدق الله العظيم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

وهل طلب منهم كفاء ما أنعم به عليهم إلا أن يعرفوا له حقه ﴿ويؤدوا له شكره. والشكر لله علي نعمه سياج لها يحفظها من الهلاك ويزيد فيها. لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (إبراهيم ٧) ولكن القوم غلبت عليهم شقوتهم فأعروضوا. فحقت عليهم كلمة الله ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (إبراهيم ٧) .

وأي عذاب نزل بهم. إنه السد الذي بنوه ليحتجزوا المياه خلفه لوقت حاجتهم . وليحميهم من غائلة الغرق قد تهدم بنيانه وتصدعت أركانه. فأغرق مساكنهم وأتلف بساتينهم . ثم أبدلهم الله من جنتهم المغرقتين ما لها يسمن ولا يغني من جوع وأسماء جنتين. تهكما بهم وأي خير في ثمر مر بشع وطرفاء لا ظل ولا ثمر وسدر قليل النفع . وذلك جزاء كفرانهم وعدم شكرهم .

فإذا كان موطن العبرة في القصة الأولى النهي عن اتخاذ المال وسيلة للمباهاة والفخر. والحث علي عدم الركون إليه. والتبري من الحول والقوة في كسبه وحفظه. فإن موطن العبرة هنا. هو الحث علي شكر الله علي نعمة المال. بالاعتراف له سبحانه بأنه هو المنعم المفضل. وأداء حق الله فيها لأن ذلك هو تمام الشكر .

وأما القصة الثانية: فخلاصتها. أنه كان فيمن مضي رجل صالح يملك بستانا. وكان ينادي الفقراء والمساكين وقت جنيه. فلما مات الصالح قال بنوه. إن فعلنا مثل ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر. فإن المال قليل والعيال كثير. وأقسموا ليقطعنها في وقت الصباح الباكر حتي لا يتبعهم المساكون. ولم يقولوا إن شاء الله. فجمعوا بذلك بين العزم علي حرمان المساكين والاعتماد علي حولهم وقوتهم فحسب. وهنا نزل علي جنتهم ليلا بلاء مخصوص أحاط بها من جميع جوانبها فأصبحت كأنها قطعت ثمارها بحيث لم يبق فيها شيء. أو صارت كالليل في اسودادها واحتراقها. ولما أصبح الصباح ذهبوا إلي حديقتهم مستخفين عن أعين المساكين. مصرين علي جني ثمر الحديقة وحرمان الفقراء منها فلما رأوها هالهم ما رأوا وظنوا لأول وهلة أنهم ضلوا طريقهم وأن الحديقة التي أمامهم ليست حديقتهم. ثم لما تأملوا في أماراتها وجزموا بأنها حديقتهم أيقنوا بأنهم حرموا منها. وهنا قال أعدلهم رأيا: ألم أقل لكم حين تشاوركم علي حرمان الفقراء هلا تذكرون الله بالخير. وهنا فقط أدركوا خطأهم وعظيم جرمهم فتابوا وأنابوا .

قال تعالي ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصبحين. أن اغدوا علي حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا علي حرد قادرين. فلما رأوها قالوا إنا لضالون. بل نحن محرومون. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون. قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين. فأقبل بعضهم علي بعض يتلاومون. قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين. عسي ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلي ربنا راغبون. كذلك العذاب. وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ (الفلم ١٧، ٣٣) .

يا لله للمسلمين. فكم من بلاء نزل. وآفة حلت بزروعهم في ضراوة العام بعد العام. وكم من جهد بذل لمكافحتها إن أفلح حيناً. خاب أحياناً. وهم في كلتا الحالتين قد خسروا خساراً ميبناً. اليسوا في حال نجاح جهدهم في مكافحة الآفة قد خسروا جهدهم الموجه لمكافحتها ومالهم المبدول ثمناً لميدياتها. والعلاج حين لو كانوا يعلمون. إنه يكمن في مواطن العظة في حداقتنا هذه... بذل. ولا فخر. وشكر لله علي ما أنعم به. شكر يدفع إلي صالح الأعمال. وكريم الفعال .

أما القصة الرابعة: فيذكرها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه. قصة واقعية عن مضي قبلنا. قصة تكمن فيها أبلغ عظة وعبرة لقوم يتعظون ويعتبرون .

قصة يؤمر فيها ماء السماء بالتوجه إلى حديقة معينة لريها. ، يسمع ذلك الأمر إنسان بأذن رأسه حتي تكون الموعظة أتم والعبرة أكمل. ويتابع ذلك الرجل هذا الماء المأمور. فإذا به يتجه لحديقة يعمل فيها صاحبها. فسأله الرجل عما يعمل في حديقته فإذا به يتصدق بالثلث. ويطعم هو وعياله الثلث. ويرد فيها الثلث. ومما يلفت النظر في ترتيب ما يعمل أنه ابتداء بالصدقة قبل أن يذكر طعمته وطعمه عياله. وبذلك يكون الرجل قد قدم حق الله علي حقه. وأعظم الصدقة ما بادر به صاحبه. قال تعالي: ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده﴾ (الأنعام ١٤١) .

وها هو حديثه ﷺ المتضمن لهذه القصة « عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « بينا رجل في فلاة من الأرض. فسمع صوتاً في صحابه. استق حديقة فلان فتنحي ذلك السحاب. فأفرغ ماءه في حرّة. فإذا شرجة من تلك الشراخ قد

استوعبت ذلك الماء كله . فتسبغ الماء . فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته ، فقال له يا عبدالله ما أسمك ؟ قال : فلانٌ للاسم الذي سمع في السحابة . فقال له يا عبدالله : لِمَ سألتني عن اسمي . قال : سمعت في السحاب الذي هذا ماء صوتا يقول : اسق حديقة فلان لاسمك . فما تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قلت هذا . فإني أنظر إلي ما يخرج منها . فاتصدق بثلثه . وأكل أنا وعيالي ثلثه وأرد فيه ثلثه « (١) .

وموضع العظة هنا يكمن في تصدق الرجل بالثلث . وابتدائه به . فسخر له ماء السماء تسخرا أسمعه الله لذلك الرجل في القلاة . أى قوم . والباب علي مصراعيه لمن أراد الولوج . فأيا إنسان بذل من ماله للفقير والمسكين وغير ذلك من وجوه البر . طيبة بذلك نفسه . فسحب الخير في سماء الله تنتظر الأمر بالتوجه . سمعه من سمعه . ولا ضير إن لم يسمعه بإذن رأسه أحد . قال تعالي : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ (الاعراف ٩٦) .

وبالتأمل في القصص الأربعة نجد أن ثلاثا منها أهلكت . وواحدة منها فقط هي التي نجت من الهلاك . ولم تنج فحسب . بل سخر لها السحاب ذلك التسخير المثير . والثلاث المهلكة . وإن انفقت في الإهلاك . فقد اختلفت أسبابه في كل منها . فالأولي . أهلكت . بسبب الفخر بها . فخرا انتهى بصاحبها إلي البغي والكفر . والاعتماد علي حوله وقوته . والثانيه . أهلكت بسبب عدم شكر الله عليها . بالاعتراف له سبحانه بأنه هو المنعم المتفضل . والثالثه . أهلكت . بسبب العزم علي فكرة فاسدة . نعم مجرد العزم عليها . ألا وهي حرمان المساكين مما إعتادوا أخذه . وأما الرابعه : فقد سخر لها السحاب وشملتها عناية الله ورعايته .

ذلك أن صاحبها كان نموذجاً إسلامياً كاملاً في نظرتة للمال . فهو قد أخرج الثلث صدقة مبتدئاً به . وإذا دققنا النظر نجدة قد أخرج النصف . لأنه ردّ الثلث في الأرض بذرا وحرثاً وخدمه . فكانه شاطر الفقير ماله .

وذلك أكمل الشكر . أن جادت نفسه . بنصف الثمر . فدل فعله على عقيدة

(١) رواه مسلم والحرة: الأرض التي بها حجارة سوداء. والشرجه: مسيل الماء إلي الأرض السهلة. والمسحاة: هي المجرفة من الحديد

سليمة . وقلب ملئ بالإيمان مفعم بالشكر لله سبحانه .

والرجل مع ذلك بعيد كل البعد عن مواطن الفخر والمباهاة بماله . وبعيد أيضا عن المن والأذى . فهو لم يعمل علي إذاعه صنيعه بين الناس . يلتمس بينهم جاها كاذبا ومجدا رائفا . لا بل كان ضنينا بسره حريصا علي عدم إذاعته .

أنظر إليه لم يجب الرجل المستفسر عن سؤاله إلا بعد أن أخبره بالآية التي شاهدها ولكن السماء كانت حريصة علي إذاعه سر الرجل ونشره بين الناس . درسا عمليا بليغا . فأسمعت صاحب الفلاة ما سمع وأرته ما رأي .

لما تقدم يتبين لنا أنه لا يكفي المسلم أن يجمع المال من حلال . وأن يؤدي حق الله فيه للفقير والمسكين . بل يلزمه مع ذلك ما هو أهم منه . ألا وهو تصحيح النظر إلي المال . بنسبته إلي الله منعا به . والتبري من حوله وقوته في كسبه وحفظه . ودوام الشكر لله عليه . وأداء حق الفقير والمسكين . شاعرا بأنه بإنفاقه إنما يسدي لنفسه معروفا أي معروف . يتحجب لربه . ويحفظ بذلك ماله . من الجوائح تنزل به . لا أقول ثورة الفقير المسكين عليه . ثورة تزلزل كيانه وتذهب بشروته . بل أهم منها وأشد وأنكي غضب الله عليه . غضبا يتمثل في ثورة الطييعه . صواعق ورعود . وغرق وحرق ونضوب للماء كما ورد في قصصنا السابقه . وعلي ذلك فالمسلم حين يتعامل مع المال إنما يمارس حزبا من العباده . يجد فيه سعادة نفسه وطمانينة قلبه . فهو حين يعمل لكسبه يتوكل علي الله توكلا يجعله يبذل الأسباب . ويفرغ الجهد لاتقان العمل .

غير أنه يؤمن بأن من وراء عمله توفيق الله أولا وقبل كل شئ . فهو لا يلق علي عمله قلقا يشقيه ويضنيه . ويرضي بعد ذلك بالثمره كائنه ما كانت بعد أن استفرغ جهده في التحسين والتجويد . ثم بعد أن يحصل علي ثمرة عمله لا يطفئه ما جمع . بل ينسب ذلك الفضل لله . فذلك خير ضمان له من الجوائح تنزل به . ويتبرأ من أن ينسب لنفسه الفضل فيما حصل عليه . مؤمنا بأن الفضل كل الفضل لله في توفيقه له في سعيه . وأنه سبحانه هو المتفضل عليه بالحوال والقوه . فيكثر من شكره بلسانه وقلبه وعمله . فيجعل في ماله حقا للسائل والمحروم . وغير ذلك من ضروب البر . ثم هو لا يتعامل مع الطييعه . وإنما يتعامل مع رب الطييعه . خالق السبب والسبب .